

أسوار وأبواب مدينة الجزائر خلال العهد العثماني

Walls and doors of Algiers during the Ottoman era

رفيق تلي¹*¹ جامعة سعيدة (الجزائر). rafiq.telli@univ-saida.dz

تاريخ الاستلام: 2021/09/01

تاريخ القبول: 2021/11/01

تاريخ النشر: 2021/12/26

ملخص:

يعالج هذا المقال موضوع يتعلق بأسوار وأبواب مدينة الجزائر خلال العهد . وتكمن أهمية البحث في التعرف على تلك الأسوار التي بناها العثمانيون، والتعرف كذلك على تلك الأبواب التي لم يكن تشييدها بطريقة عشوائية وإنما لأهميتها لأنها تعتبر نقاط دخول وخروج لمدينة الجزائر لذلك حرصت السلطة العثمانية على أن تكون حراسة الأبواب الرئيسية في غاية الأهمية. وفي محاولة مني للإجابة على مختلف التساؤلات المطروحة، فإنتي اعتمدت في معالجة مضمون هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي وكذا المنهج الوصفي الذي تفرضه متطلبات بناء الواقعة التاريخية في قالبها الأكاديمي المنهجي.

كلمات مفتاحية: أبواب؛ أسوار؛ مدينة الجزائر؛ فترة عثمانية؛ تشييد.

Abstract:

This article deals with a topic related to the walls and doors of Algiers during the Ottoman era. The importance of the research lies in learning about those walls built by the Ottomans, as well as those doors that were not constructed in a random manner, but due to their importance as they are considered entry points and exit points for the city of Algiers. Thus, the Ottoman authority made sure that guarding the main doors was very important. In an attempt to answer the various questions raised, I relied in addressing the content of this study on the historical analytical approach as well as the descriptive approach imposed by the requirements of the historical reality in its methodological academic form.

Keywords: Doors; Walls; Algiers city; Ottoman Period; Construction.

- مقدمة :

إنّ حكام الجزائر العثمانية بموازاة مع تنظيمهم للجيش؛ قاموا بأعمال تحصينية كبرى لفرض سلطة الحكم العثماني على مختلف جهات البلاد، خاصة المناطق المضطربة، وهنا نقصد التحصينات الدفاعية لمدينة الجزائر والتي تتمثل في الأسوار العالية والأبواب الكبيرة والحصون المنيعة والأبراج والقلاع المتينة، فقد جاءت مهام هذه المنشآت العسكرية استجابة لما كانت تعيشه الجزائر من أخطار، وتعتبر الدعامة الأساسية في منظومة التحكم العسكري لضمان الأمن¹.

كانت مدينة الجزائر طوال القرن الخامس عشر مهددة في أمنها من قبل القوات المسيحية الأوروبية وخاصة الجيش الملكي الإسباني، بسبب اختلال ميزان القوة في البحر المتوسط، وتمكن اسبانيا من احتلال المرسى الكبير بوهران ومدينة بجاية في بداية القرن السادس عشر، وتصدى لهذه الحملات عروج وخير الدين، ومن تم اهتمت السلطة العثمانية بتحصين مدينة الجزائر معماریا بإعادة بناء أسوارها بشكل متقن وإحاطتها بالخنادق، كما اهتموا بحماية الثغور وتخوم الدولة بإنشاء سلسلة من الحصون والبطاريات.

ولم تكن المنشآت العسكرية ذات فن وجمال نظرا لوظيفتها العسكرية المنوطة بها وهي عملية الدفاع والهجوم، والتي كانت تتطلب القوة، ووضعت هذه المنشآت بصفة دقيقة بمناطق حساسة، حتى أصبحت بذلك من أشد مدن المغرب الإسلامي تحصنا، حيث لقبت ب"دار الجهاد" و"المحروسة" و"مدينة الألف مدفع" و"الجزائر المنيعة" وتتميز مدينة الجزائر عن باقي المدن الجزائرية الأخرى، الساحلية منها والداخلية، بتعدد المنشآت العسكرية ذات الخدمات المشتركة والعمومية²، وسنتعرض بالشرح في هذه الدراسة إلى الأسوار والأبواب التي كانت موجودة بمدينة الجزائر. ومنه طرحنا الإشكاليات التالية:

- ما هو الموقع الجغرافي والفلكي لمدينة الجزائر؛ وما هي مكانتها التاريخية؟

- فيما تمثلت أسوار مدينة الجزائر؛ وما هو دورها في مدينة الجزائر خلال العهد

العثماني؟

- ما هي أبواب مدينة الجزائر خلال العهد العثماني؟؛ وأين تكمن أهميتها؟

تكمّن أهداف وأهمية الموضوع في المساهمة في كتابة تاريخ الجزائر العثماني لا سيما منه العمراني والكشف عن القضايا التي يكتنفها الغموض من خلال التعرف على أبواب وأسوار مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

وعليه وارتباطا بالقضايا المطروحة سلفا، كان من الضروري طرق الموضوع، وفي محاولة منّا للإجابة على التساؤلات التي طرحها، فقد اعتمدت في معالجة مضمون هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي وكذا المنهج الوصفي الذي تفرضه متطلبات بناء الواقعة التاريخية في قالبها الأكاديمي المنهجي.

1. لمحة جغرافية وتاريخية لمدينة الجزائر:

اتخذ العثمانيون من مدينة الجزائر عاصمة للإيالة ومقرًا لحكمهم، حيث تقع مدينة الجزائر بين خطي عرض 36.46° شمالا، وخط طول 3.3° إلى الشرق من خط غرينيتش، وهي بذلك تقع في منطقة معتدلة على نحو البحر³، وهي تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط⁴، وبُنيت على مرتفع متدرج يأخذ شكل مثلث، تركز قاعدته على المنحدر، وطرفاه: باب عزون وباب الواد اللذان يلتقيان في نقطة التقاطع العليا، تمثل القلعة رأس المثلث، وتتسع الجهة الثالثة لتتدرج إلى جهة البحر أو الميناء⁵، وهي تتوسط إقليم وسط البلاد؛ جناحها الغربي إقليم وهران، وجناحها الشرقي إقليم قسنطينة، وتمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا، ومن ساحل البحر شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا، وتضم إقليمي: الساحل و متيجة مع بعض الامتدادات في بلاد القبائل والتيطري⁶.

ولقد حدّد لنا "عبد القادر حليبي" موقعها في كتابه "مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م" فقال: "... نجد إقليم مدينة الجزائر يمتد من شاطئ البحر المتوسط بجبل بوزريعة إلى جبال الأطلس البليدي، ويحدّه شمالا البحر المتوسط ويحتضنه من الشرق وادي الحراش، ومن الغرب وادي ماء زعفران، وبذلك يمتد الإقليم في شكل طولي من الشمال إلى الجنوب ليضم مظهرين طبيعيين مختلفين تماما، إحداهما سهلي والآخر جبلي (كتلة بوزريعة وسهل متيجة) وهما متممان لبعضهما لاعتماد السهل على الجبل..."⁷.

ويتكون سطح إقليم مدينة الجزائر من منطقتين مختلفتين في التضاريس والبنية، إحداهما التوائية وعرة ومعقدة التضاريس يطلق عليها كتلة الساحل، والأخرى منطقة سهلية هدمية منبسطة تعرف بالسهل المتيجي⁸. واشتهر إقليم مدينة الجزائر بخصوبة تربته منذ القديم، وهي تنقسم في معظمها إلى تربة حمراء في منطقة الساحل، وإلى تربة فيضية سمراء ورمادية في منطقة السهل المتيجي، وإلى تربة جبلية صخرية خشنة في منطقة جبال الأطلس المتيجي⁹. ويعدّ مناخ مدينة الجزائر وضواحيها بحري بالدرجة الأولى ومعتدل للغاية وأقرب إلى الدفء منه إلى البرودة في فصل الشتاء، أما فصل الصيف فتغلب عليه الحرارة التي يمكن تحمّلها بارتياح نظرا للرطوبة الجوية المنخفضة وهبوب نسيم البحر الذي يلطف الطقس¹⁰.

فقد وصف مدينة الجزائر الكثير من الرحالة والجغرافيين بأنّها مدينة تعاقبت عليها عدّة أمم وذلك من خلال الآثار المتبقية، كما أنّها كانت تتمتع بجمال طبيعي، ولها منشآت عمرانية كثيرة، حيث يذكرها "ياقوت الحموي" في معجمه فيقول: "...مدينة الجزائر مدينة جليلة قديمة البنيان، فيها آثار عجيبة تدل على أنّها كانت دار ملك لسالف الأمم..."¹¹.

2. الأسوار والبطاريات بمدينة الجزائر:

1.2. الأسوار:

ذكرت الكتابات التاريخية أنّ الأسوار من أساسيات البناء المعماري القديم، منها ما يتعلق بإكساب المدينة مظهرا جماليا، ومنها ما يتصل بالوقوف في وجه المتغيرات الطبيعية من فيضانات وعواصف، وكذلك حماية المدن عند تعرّضها للغزو والعدوان، حيث تعدّ الأسوار حائطا دفاعيا صلدا للوقوف بثبات في وجه المعتدين وتعزيز الصمود والمقاومة، والحديث عن أسوار مدينة الجزائر يتطلب بعض التدقيق في وصف الأسوار وتموضعها باعتبار مدينة الجزائر مدينة ساحلية بحرية، امتدّت أسوارها على طول شريطها البري البالغ محيطه ثمانمائة ألف قدم، أما شريطها البحري البالغ محيطه ستمائة ألف قدم، فقد كان مكشوفاً، إلا أنّ جزءاً فقط من السور كان قائماً على الصخور، وبقية الشريط الساحلي تتداخل فيه الحصون والأبراج والبطاريات (الطبانات) بالمباني السكنية¹².

كانت أسوار المدينة في العصر الحديث تتبع نفس المخطط الذي قامت عليه أسوار الجزائر بني مزغنة منذ 361 هـ-972م حيث كانت تمتد الأسوار من قصبة سيدي رمضان؛ وفي سنة 1540م أضاف "حسن باشا" (1572-1574) مثلثا متساوي الأضلاع يكون رأسه قصبة المدينة وتكون قاعدته التي أدمجت مع جنوب المدينة أو ما يعرف بالجبل، بينما يشكل ضلعاه الباب الجديد وسوق الجمعة، وبهذا زيد في أطوال سُورِي المدينة عموما، وتشبه المدينة مثلثا رأسه أيضا القلعة، بينما تكون قاعدته الواجبة البحرية، أما أطوال السورين الشرقي والغربي فيبلغ الأول 750 م من جهة باب عزون و900م من منحدر باب الوادي. وهي متوجهة في جميع أبعادها بقمم هرمية وتقدّم نمطا أصيلا.

تحتوي أسوار المدينة على جدار قديم، يرتفع بعلو يتراوح بين 11 و13م، زين على طول امتداده بفتحات للمدفعية يبلغ مجموعها 214 فتحة توجت بروج مربعة الشكل بعضها بدون بروز¹³، كما كانت هذه الفتحات وخاصة المشرفة على البحر مخصصة لتلق منها طلقات المدافع¹⁴، وعند وصف الأسير "هايدو" هذه الأسوار بقوله: "...نستطيع أن نقارن أسوار هذه المدينة (الجزائر) بقوس ذات وتر، تمتد واجهتها البحرية بين الشرق والغرب حيث أنّ الميناء يتبع هذا الاتجاه مثله مثل السطوح والزوايا والأزقة والمنازل...والجدران التي تمثل الخشب في القوس قد شيدت على ربوة ترتفع بمدرجات حتىّ قممها"¹⁵.

وفي نفس السياق وصفها "الجاسوس بوتان"¹⁶ بقوله: "تشمل أسوار مدينة الجزائر على جدار قديم يتراوح ارتفاعه بين 11 و13م تتخلله فتحات للمدفعية تبلغ في مجموعها 214 فتحة، كما تتخلل هذا السور على مسافات صغيرة أبراج مربعة الشكل...وقد شيدت هذه الأسوار سنة 1540م من قبل "حسين باشا" على شكل مثلث متساوي الأضلاع تقريبا ترتكز قاعدته على البحر والضلعان الآخران يرتفعان بشكل متباين على طرف هضبة حيث يكون الانحراف مع الأفق بزوايا 15 و20 و25 درجة"¹⁷.

وبفضل هذه الأسوار بقيت المدينة محمية من الأعداء طيلة ثلاثة قرون كاملة، رغم الحملات الهجومية المتكررة عليها¹⁸، حيث كانت الأسوار بمدينة الجزائر تتكون من تراب مركوم أو مكوم يتراوح سمكه بين 99.0 م و66.1م ويقدر ارتفاعه بين 0.3م و0.4م بينما يتفاوت مقدار سمك السور المبنى من مكان إلى آخر ففي بعض الأماكن بناحية باب عزون قد يصل

سمك السور إلى 19م بسبب الزفت بينما السمك الحقيقي للسور فلا يزيد عن ثمانية أمتار. وتوجت الأسوار بفتحات كبيرة يمكن أن تستعمل للمدافع الصغيرة بين البروج التي كانت تحمي خاصرات الأسوار، وهذه التحصينات المسننة المطلية ببياض الجير البراقة الفاتنة، مثل المباني التي تأتي مباشرة بعدها، تتصاعد في طوابق على مدرجات في غالب الأحيان، متقاربة الواحدة من الأخرى.

يتألف السور من الممشى أو الدروب الذي يسير عليه المحاربون يبلغ عرضه 2م وجدار مبني بالحجارة أو الأجر ثم التراب المركوم حيث يكون السور مائلا نحو الداخل تقدر درجة الميلان بثلاثين درجة، تمنع تصدّعه أو إحداث ثلم به بواسطة المتفجرات. وعلى المستوى الأول (التراب المركوم) غالبا ما نجد سلالم للصعود حيث يتغير الارتفاع من الأرض من 60.2 إلى 50.6م¹⁹.

وقد أفادنا "دوفو" بمعطيات رقمية تتعلق بالسمك والارتفاع: فسمك السور الداخلي من ناحية باب الوادي يتراوح بين 4.55م و12.60م، وسمك السور الداخلي من باب عزون فيتراوح بين 4.55م و16م، وسمك السور الخارجي يتراوح بين 02م و03م، وارتفاع السور الخارجي يصل إلى 25 شبرا، وارتفاع السور الداخلي على جانب البحر يصل إلى 40 شبرا، وقد وجدت مواد بناء عديدة في بناء الأسوار منها: الحجارة المستعملة في بناء القسم السفلي للأسوار، والحجارة المصقولة المستعملة غالبا في الحصون خاصة في الزوايا، والأجر المستعمل في القسم العلوي للأسوار، كما تتخلل الأسوار فوهات مربعة الشكل، متباعدة عن بعضها البعض بمسافات متوازية وتدعى غالبا بالفوهات النارية²⁰.

نلاحظ من خلال هذه الأرقام أنه رغم سماكة السور الداخلي ومثانة حصانته، فإن القذائف الفرنسية سنة 1830 قد أحدثت فيه فجوات، استغلها ديفولكس في قياس سمك السور، كما نلفت الانتباه إلى أن وصول سمك السور إلى التقدير المذكور سابقا دلالة واضحة على سعة سطحه وتماشيه مع سطوح أسوار المدن العالمية، بحيث كان السطح السوري يتسع عادة لتمشي فيه ثمانية خيول مجتمعة، كما يتوفر على ممرات في وسطه، ويمكن لفارسين أن يمشيا مجتمعين معه أثناء التجوال والحراسة، كما يستعمل الممر نفسه لمرور عربات المدافع في حالات الدفاع عن المدينة لحمايتها من العدوان²¹.

لكن هذا السور الذي يحيط البلد لم يبق منه إلا الأثر القليل منه بقرب مسجد سيدي رمضان وبقرب القصبة. وكذلك في أعلى نهج باب الجديد، فكان هذا السور ينحدر من القصبة إلى البحر وينتهي عند باب الوادي، وفي الجهة الأخرى المقابلة ينحدر السور من ناحية القصبة إلى الموقع الذي بقربه المسرح البلدي حيث كان باب عزون، ولم يبق شيء أثري من هذين البابين، فالمدينة كانت حينذاك محصورة وراء أسوارها²².

2.2. بطاريات الأسوار²³:

أ-بطاريات السور الغربي للمدينة: لقد تُوجَّ السور الغربي للمدينة بعدة بطاريات أهمها:

1- بطارية حمام المالح: توجد هذه البطارية أو الطبخانة على بعد 45م من باب الواد، ومهمتها هي حماية الزاوية الشمالية الغربية للمدينة. ويعود تاريخ بنائها إلى القرن السادس عشر، وكانت مزودة بعشر قطع مدفعية.

2- بطارية سبع تبارن: تعرف هذه الطبخانة باسم طبخانة صباط الحوت أو طبخانة أرنووط مامي، وتبعد بـ130م على باب الواد، مزودة بستة مدافع.

3- بطارية سيدي رمضان: عرفت هذه الطبخانة باسم طبخانة قطع الرجل نظرا لوقوعها في المكان الذي كان يعلن فيه عن حظر التجول²⁴.

4- بطارية بدون تسمية: توجد هذه الطبخانة على مسافة 30 م من الطبخانة السابقة، ولا يعرف لها اسم، وكانت مزودة بسبعة مدافع.

5- بطارية رحي الريح: وتعرف بحومة زيان، وتبعد عن البطارية السابقة بـ225م، وهي مزودة بتسعة مدافع²⁵.

ب-بطاريات السور الشرقي للمدينة:

1- بطارية الباب الجديد: تقع على 90م من الجدار الجنوبي للقصبة، وهي مزودة بتسعة مدافع.

2- بطارية حومة السلوي: تقع على بعد 225م شمال شرق بطارية الباب الجديد، كان لها تسع فتحات للمدفعية.

3- بطارية بدون تسمية: على بعد 75م أسفل باب عزون وعلى شاطئ البحر، وهي مزودة بعشر مدافع ذات عيار 24، وأربعة مدافع ذات عيار 18.

3- بطارية العسل: سميت بهذا الاسم لوقوعها قرب فندق العسل، وشكلها عبارة عن مربع طوله 20م، وكان بها 05 مدافع.²⁶

ج-بطاريات السور الشمالي للمدينة: زود السور الشمالي للمدينة بثلاث بطاريات وهي:

1- بطارية المارستان: كانت تبعد عن البطارية السابق ذكرها ب70م، أخذت تسميتها من المارستان أي المستشفى الذي كان يحاذيها، وكانت لها أربع فتحات للمدفعية.²⁷

2- بطارية قاع السور: تبعد بحوالي 20م عن برج باب البحر، وكانت تحتوي على أربعة مدافع.

3- بطارية الجامع الكبير: تبعد عن بطارية قاع السور ب80م، مزودة بثلاث مدافع، وهذا بعد هجوم اللورد اكسموث سنة 1816.²⁸

3. الأبواب:

كانت وضعية الأبواب محدّدة حسب تنظيم المدينة، حيث كان لكل واجهة هامة لها باب، إنّ وضعية الأبواب تُحدّد الاتجاه وترسم الممرات الرئيسية التي تجمع بين الأبواب، علما أنّ الممرات الرئيسة هي طرق تجارية كذلك. كانت هناك علاقة بين الواجهات والأبواب وتسهيل العملية الاقتصادية، إضافة إلى كون الأبواب تربط بين الممرات الرئيسية، وتربط المدينة بالعالم الخارجي عبر ربطها بالطرق الرئيسية، وما يهمننا هنا هو الإشارة إلى أنّ الأبواب لم توضع بصفة عشوائية وإنّما هناك علاقة بين المركز الاقتصادي والطريق الرئيسي والطريق الخارجي وتكون الأبواب في خدمة وتسهيل الحركة والنقل، وقد مثلت الأبواب نقاطا هامة في العملية الاقتصادية، وذلك ناجم عن كون المدينة تصدر فائض إنتاجها وتستورد ما هي بحاجة إليه عبر هذه النقاط والتي مثلت نقاط ربط واتصال على جميع المستويات، ودراسة موقع الأبواب والحركة التي تشهدها هذه الأخيرة تساعدنا على تفسير وفهم ظواهر اجتماعية متعدّدة الجوانب.²⁹

لذلك حرصت السلطة العثمانية بمدينة الجزائر على أن تكون حراسة الأبواب الرئيسية في غاية الأهمية، حيث يُعزّز كل بمركز حراسة على جانبه، يراقب الضواحي والأماكن المجاورة، وكذا الداخلين إلى المدينة والخارجين منها باستمرار، بل ويجاوره حصن صغير أو بطارية مدفعية³⁰، وقد كانت الأبواب الخارجية للمدينة أبواب خشبية، متقنة الصنع وكبيرة الحجم،

مصفحة بالحديد، وذات مصاريع حديدية تغلق بها قبيل غروب الشمس وتفتح بعد طلوع الشمس³¹. وكانت مهمة فتح وغلق الأبواب الخارجية موكلة لموظف يدعى المزوار، ولا تفتح أيام الجمعة والأعياد الدينية إلا بعد صلاة الظهر³²، وفيما يلي سنذكر أبواب مدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

أ- باب عزون: وهي من أهم أبواب المدينة، وينسب إلى أمير موريطانيا الطنجية بشمال الجزائر والمغرب في العصر القديم المسى عزون الذي دخل مدينة الجزائر من هذه الباب، لكننا نجهل تاريخ هجوم عزون على المدينة. وإذا كان باب عزون لا يتوفر على بطارية فإنه يوجد في خلفها بين السورين الداخلي والخارجي بطارية من خمسة مدافع³³.

كان يدخل منها أي هذه الباب القادمون من الجنوب والشرق، ومن السهل المتيجي عن طريق الحراش، وهي أهم طريق تربط المدينة بشرق البلاد. وكان لباب عزون جسر يرفع أثناء الخطر³⁴، ويربط باب عزون، المدينة والريف، فهو ممر مهم للتجار ومنها يخرج كل الناس الذين يتجهون إلى الريف، وإلى كل قرى وبابلكات الجزائر، ومنها تدخل كل البضائع والسلع العربية والبربرية من مختلف الجهات الجزائرية، لذا كانت هذه البوابة تعج بحركة الناس يوميا، ومدخل عزون بابين للدخول المباشر، يقعان في السورين الداخلي والخارجي، ويتباعدان عن بعضهما البعض بمسافة 32 مترا، وباب عزون به ستة معاقيف حديدية مسخرة للإعدام مثبتة في السور، يُلقى عليها من صُدر بحقّه الإعدام³⁵، وهدمت هذه الباب سنة 1841م من قبل السلطة الاستعمارية في محاولة لإدماج المدينة الإسلامية بالضواحي الأوروبية بدلا من وضع مخطط لبناء مدينة جديدة، وهذا في محاولة لإدماج المواطن الأصلي بالمعمر والقضاء على خصوصياته³⁶.

ب- الباب الجديد: يوجد هذا الباب في الجهة الجنوبية الغربية من السور، يدخل منها القادمون من الغرب ومن البليدة، ويربطها طريق رئيسي بغرب البلاد³⁷، ويذكر أنّ الباب الجديد يبيّن بما لا يدع مجالا للشك أنّ تشييده تمّ بعد البوابات الخارجية الأخرى، وهو بالتالي يعود إلى عهد التحصينات العثمانية الأولى، وكما تُبيّن التخطيطات الفرنسية أنّ هذه البوابة كانت مجهزة بتسع فوهات، وكانت تحت إشراف باشطبيجي الذي تمتد مسؤوليته على طول الأسوار التي بين البوابة والقصبية العليا³⁸، ويوجد بمدخل الباب الجديد بابان متواليان أحدهما خارجي

والآخر داخلي، كلاهما يقعان بالسور الخارجي للمدينة، أما السور الداخلي فليس له باب لأنه يتصل بالقلعة. ويبلغ عرض الباب الجديد ثلاثة أمتار، مصنوع من الخشب الجيد، وبه صفائح حديدية، لكن رغم عرضه لا يمكن للعربات أن تجتازه لأنّ الأزرقة المفتوحة عليها ضيقة جدًا، حيث يبلغ عرض الزقاق متران ونصف متر. وتُصَبَّت بالباب الجديد ستة معاقيف حديدية لإعدام المجرمين وذلك منذ عهد الداوي "عمر باشا" 1815-1817³⁹، ومنه اتَّخذت فرنسا من هذه الباب رمزًا لقوتها التي دخلت منها يوم 05 جويلية فأسمت الشارع كله باسم شارع النصر قبل أن تهدم الباب سنة 1866⁴⁰.

ج- باب الجزيرة (الجهاد): يقع في اتجاه الشرق وسُمِّيَت أيضا بباب الجهاد أو باب الصيادين⁴¹، لكونها متخصصة لدخول وخروج المجاهدين في البحر، وسماها الفرنسيون بعد احتلالهم للمدينة بباب فرنسا، ثم باب البحر، وكان الباب عامرا بالحركة طوال اليوم، وظل سكان المدينة يطلقون عليها إلى يومنا هذا بباب الجزيرة، ونظرا لكون هذا الباب يطل على البحر، فقد كان أشد الأبواب متانة ومناعة، وتجاوره عدّة حصون مزودة بمدافع⁴²، وعرف عند الأوروبيين باسم المول ثم باب الجمارك ثم باب البحرية⁴³.

د- باب الواد: شُيِّدَت خلال القرن 16م، وكان عليها حصن ضعيف بدون تراب مركوم، وبدون أي نوع من الأسلحة، وفتحت به ست فتحات للمدفعية، وكانت تقع باب الواد في شمال المدينة وتفتح نحو الشمال أو نحو الطريق التي تمر بجبل بوزريعة، وتسميته بباب الواد نسبة إلى الواد الذي يمر بجانب الباب، وهو واد قريش أو واد المغاسل، وهي أقل الأبواب أهمية تنتهي إلى جسر بالإمكان رفعه وقت الخطر مثل باب عزون⁴⁴.

هـ- باب البحر: وسميت كذلك بباب الديوانة أو باب السردين، وتقع جنوب شرق المدينة، وتتميز بصغر مساحتها، وتطل على البحر، وكانت مخصصة للتجارة البحرية، وكان يدخل منها الصيد البحري، لذلك سميت بباب السردين بعد الاحتلال الفرنسي، وسميت بباب الديوانة أو الجمرك نسبة لدار صغيرة كانت تجاوره، يتم فيها حشد التجار الأوروبيين وبضائعهم لتفتيشها⁴⁵.

وتجدر الإشارة إلى أنّ كل الأبواب كانت كبيرة الحجم، متقنة الصنع، مرصعة بالحديد، تغلق قبل غروب الشمس بقليل، وتفتح بعد طلوع الشمس بقليل، يكثر بها الحراس، وتشتد بها المراقبة حتى لا ينسل منها إلى المدينة مشبوه فيه، وتحاذيها القلاع والثكنات، وتعطي إلى رحاب واسعة داخل المدينة، أو إلى أبواب أخرى ثانوية داخل المدينة مثل البابين الداخليتين بالقصبة العليا، والباب الداخلية فيما وراء باب الجزيرة⁴⁶.

- خاتمة :

وفي الأخير وبعد دراستنا لموضوع: " أسوار وأبواب مدينة الجزائر خلال العهد العثماني" توصلنا إلى النتائج التالية:

- حاولنا رسم صورة المدينة الجزائرية الكبرى في العهد العثماني، وتأكيد دلالتها العمرانية العسكرية، مركزين على العاصمة المركزية للبلاد وهي مدينة الجزائر فأبرزنا خطتها، وتوصلنا إلى أنّها كانت فعلا مدينة كبيرة، ووجد سكانها ظروفًا مناسبة للاستقرار بها رغم الحملات الأوروبية المتكررة على مدى ثلاثة قرون.

- كانت أسوار مدينة الجزائر في العصر الحديث تتبع نفس المخطط الذي قامت عليه أسوار جزائري مزغنة منذ 361 هـ-972م.

- الدخول إلى مدينة الجزائر يتم عن طريق مجموعة من الأبواب مثل: باب عزون، الباب الجديد، باب الجزيرة (الجهاد)، باب الواد وغيرها من الأبواب، حيث كانت هناك علاقة بين الواجهات والأبواب وتسهيل العملية الاقتصادية، إضافة إلى كون الأبواب تربط بين الممرات الرئيسية، وتربط المدينة بالعالم الخارجي عبر ربطها بالطرقات الرئيسية، وما يهمننا هنا هو الإشارة إلى أنّ الأبواب لم توضع بصفة عشوائية وإنما هناك علاقة بين المركز الاقتصادي والطريق الرئيسي والطريق الخارجي وتكون الأبواب في خدمة وتسهيل الحركة والنقل، وقد مثلت الأبواب نقاطا هامة في العملية الاقتصادية، وذلك ناجم عن كون المدينة تصدر فائض إنتاجها وتستورد ما هي بحاجة إليه عبر هذه النقاط والتي مثلت نقاط ربط واتصال على جميع المستويات، ودراسة موقع الأبواب والحركة التي تشهدها هذه الأخيرة تساعدنا على تفسير وفهم ظواهر اجتماعية متعدّدة الجوانب.

- كانت التحصينات العسكرية لمدينة الجزائر منيعة مثل: الأسوار والأبواب إضافة إلى الحصون والأبراج والثكنات التي بنيت بطريقة عمرانية متميزة خلال العهد العثماني، فبالنسبة للأبواب فإنّها كانت تمثل سلاحا دفاعيا لحماية المدينة، كما وضع الأتراك العثمانيون لمدينة الجزائر أبوابًا خارجية خلال القرن 16م والتي بقيت موجودة حتى الاحتلال الفرنسي للجزائر وتلعب هذه الأبواب دورا دفاعيا، كما أنّها تنظم حركة التجارة والمرور، لذلك أولاهها العثمانيون أهمية بحيث جهزوها بالمدافع، كما يشرف عليها (الأبواب) جهاز إداري بقيادة المزوار.

-الإحالات والهوامش:

- ¹ - حنفي هلايلي، النظام الحربي للجزائر في العهد العثماني منذ مطلع القرن السابع عشر حتى سنة 1830، المجلة التاريخية المغربية، العدد 119، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2005، ص193.
- ² - هجيرة تمليكشت، التحصينات الدفاعية بمدينة الجزائر في العهد العثماني حصن تامنفوست أنموذجا، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، مصر، 2016، ص333.
- ³ - عبد القادر حليبي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص33.
- ⁴ - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ط2، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص33.
- ⁵ - لطيفة بورابة، مباني قلعة الجزائر العثمانية (دراسة تاريخية أثرية)، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 11، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، سبتمبر 2014، ص164.
- ⁶ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830، ط3، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص29.
- ⁷ - عبد القادر حليبي، المرجع السابق، ص ص32-33.
- ⁸ - نفسه، ص ص01-03.
- ⁹ - نفسه، ص23.
- ¹⁰ - نفسه، ص108.
- ¹¹ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، ج2، بيروت، 1977، ص132.
- ¹² - بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2007-2008، ص40.
- ¹³ - خلاصي علي، القلاع والحصون في الجزائر، المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث، دار الدمان، مطبعة الديوان، الجزائر، 2008، ص49.
- ¹⁴ - محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، ط2، مكتبة زهراء الشرق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص33.
- ¹⁵ - Haedo Diego, topographie et histoire Générale d'Alger (au R AF .1870) . P418.
- ¹⁶ - ولد الضابط والمهندس ايف بوتان في الفاتح من شهر جانفي من عام 1772م، في لورو بوترو الواقعة بضواحي "نونت" غرب فرنسا، وأختير بوتان للقيام بمهمة استطلاعية في مدينة الجزائر، لكونه الرجل الذي يجمع بين الخبرة في الميدان البحري والمهارة في الهندسية العسكرية. وصل بوتان إلى

الجزائر في 24 ماي 1808م، وشرع في التوفي تنفيذ التعليمات التي زود بها من قبل الوزارة البحرية الفرنسية. وكان بوتان يتجول في مدينة الجزائر ويطوف في ضواحيها، وفي الليل يسهر في إعادة رسم تلك المخططات بكل دقة وعناية. أنظر: لطيفة بورابة، المرجع السابق، ص 186.

¹⁷ - هجيرة تمليكشت، المرجع السابق، ص 334.

¹⁸ - محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 81.

¹⁹ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص 51.

²⁰ - بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص 41.

²¹ - نفسه، ص 41.

²² - نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص 132-133.

²³ - يقصد بالبطاريات، الطبانات أو الطبخانات، وهي معاقل للمدفعية في الأسوار والحصون والأبراج في التراب بعد حفر حفرة وإحاطتها بأكياس من التراب أو الرمال. ينظر: بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص 41.

²⁴ - لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989-1990، ص ص 132-133.

²⁵ - بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص 42.

²⁶ - نفسه، ص 42.

²⁷ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص 64.

²⁸ - لخضر درياس، المرجع السابق، ص ص 135-136.

²⁹ - فتيحة الواليش، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993-1994، ص ص 149-150.

³⁰ - بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص 46.

³¹ - عبد القادر حليبي، المرجع السابق، ص 233.

³² - Sakina Missoum, Alger à l'poque Ottmane –LA Médina et la Maison Traditionnelle-INAS, Alger, 2003.p124.

³³ - بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص 47.

³⁴ - عبد القادر حليبي، المرجع السابق، ص 232.

³⁵ - بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص 47.

³⁶ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص 54.

³⁷ - عبد القادر حليبي، المرجع السابق، ص 232.

- ³⁸ - بدر الدين بلقاضي ومصطفى بن حموش، تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص65.
- ³⁹ - بلبراوات بن عتو، المرجع السابق، ص47.
- ⁴⁰ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص54.
- ⁴¹ - Devoulx Albert, Alger Etude Archéologique de Topographique de cette Ville R.A.F.1876. P418.
- ⁴² - عبد القادر حليبي، المرجع السابق، ص232.
- ⁴³ - بدر الدين بلقاضي ومصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص54.
- ⁴⁴ - بدر الدين بلقاضي ومصطفى بن حموش، المرجع السابق، ص54. وانظر: Haedo Diego,op,cit,p421 وانظر أيضا: عبد القادر حليبي، المرجع السابق، ص232.
- ⁴⁵ - عبد القادر حليبي، المرجع السابق، ص232. وانظر: Sakina Missoum, op,cit,p134.
- ⁴⁶ - عبد القادر حليبي، المرجع السابق، ص ص234-235.
- قائمة المصادر والمراجع:
- أولا: الكتاب العربي الحديث أو المترجم:
- حليبي، عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972.
- بن ميمون، محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ط2، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- سعيدوني، ناصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830، ط3، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، ج2، بيروت، 1977.
- خلاصي، علي، القلاع والحصون في الجزائر، المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث، دار دالمان، مطبعة الديوان، الجزائر، 2008.
- عقاب، محمد الطيب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، ط2، مكتبة زهراء الشرق للنشر والتوزيع، القاهرة 2002.
- عبد القادر، نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر، 2006.
- بن حموش بدر الدين بلقاضي ومصطفى، تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس، موفم للنشر، الجزائر، 2007.

ثانيا: المقالات:

- هلايلي، حنفي، (2005)، النظام الحربي للجزائر في العهد العثماني منذ مطلع القرن السابع عشر حتى سنة 1830، المجلة التاريخية المغاربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، العدد 119، 2005، ص ص 186-205.
- تملكشت، هجير، (2016)، التحصينات الدفاعية بمدينة الجزائر في العهد العثماني حصن تامنفوست أنموذجا، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، مصر. ص ص 332-353.
- بورابة، لطيفة، (2014)، مباني قلعة الجزائر العثمانية (دراسة تاريخية أثرية)، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر. العدد 11، ص ص 163-192.

ثالثا: الأطروحات:

- بن عتو، بلبروات، (2008)، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، الجزائر.
- درياس، لخضر، (1990)، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه في التاريخ، معهد التاريخ، جامعة الجزائر.
- الواليش، فتيحة، (1994)، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر.

رابعا: المراجع باللغة الأجنبية:

- Haedo Diego, (1870)• topographie et histoire Générale d'Alger (au R AF) .
- Missoum Sakina, (2003)• Alger a l'poque Ottmane –LA Médina et la Maison Traditionnelle-INAS, Alger.
- Devoulx Albert, (1876), Alger Etude Archéologique de Topographique de cette Ville R.A.F.